العالم العربي ». من هذه النظرة نفهم كم هي انتقائية تلك الموضوعية التي يدعيها سيغال ، عندما يقول في مقدمته : اني لا ادعي الموضوعية ، بل انا متحيز تحيزا بالغا ، وتحيزي هذا هو التزام بقيم الانسان وليس بقيم الدول والهياكل المقدسة.

ان سيغال ينتقد التعاطف المتبادل بين اسرائيل وجمهورية جنوب افريقيا المعروفة بمؤسساتها المعادية للسامية ، كما يبدي استنكاره لاحتقار الاسرائيليين للعرب ، مبينا ان منح الاسرائيليين الحكم الذاتي للضفة الغربية يعني في الواقع خضوعها لاسرائيل . لكنه يقف على ارض اقل ثباتا عندما يدعي ان الملاكين في الضفة الغربية قد ازداد رخاؤهم بسبب انتهاجهم التقنية الاسرائيلية الحديثة في الزراعة ، وبسبب انفتاح الاسواق الاسرائيلية أمام حاصلاتهم . فالواقع ان عكس ذلك تماما قد حدث : فعمال الزراعة الاجراء هجروا الزراعة من اجل العمل في حركة البناء الاسرائيلية الضخمة ، تاركين القطاع الزراعي العربي يبور لقلة الايدي العاملة فيه . كما ان الاسواق الاسرائيلية لم تنفتح أمام حاصلات الضفة الغربية بالقدر الذي يدعيه سيغال .

على أية حال ، يأخذ كتاب سيغال في اكتساب اهميته الرئيسية بدءا بالفصل الثاني الذي يخصصه لمصر ، وبالفصل الثالث الذي يتناول فيه الاوضاع اللبنانية والاردنية والفلسطينية . وفي هذين الفصلين يقدم تحليلا للاوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في هذه المنطقة من الوطن العربي لا يمكن للقارىء العربي الا ان يسلم بموضوعيته ، مع ان سيغال لا يأتي بجديد فيه . انه في لبنان يتحدث مع زعيم حزب يميني ويسمع منه تبجحه بأن لبنان يماثل سويسرا تماما ، وبأنه مثل سويسرا يبغي الوقوف بمنأى عن مشاكل المنطقة . وبعد هذا الحديث يصغي سيغال الى يساري عربي يقول له : كم اتمنى ان يتوقفوا عن وصف لبنان بأنه سويسرا المنطقة ، فالواقع انه هونغ كونغ الشرق الاوسط !

ولا ريب ان سيغال على حق عندما يسجل ان الشعور الوطني الفلسطيني هو دافع في العالم العربي من اجل التغيير الاجتماعي . لكنه بعد ذلك بصفحات قليلة ينفي مسؤولية اسرائيل « الكاملة » عن شقاء اللاجئين الفلسطينيين ، واضعا اللوم على مصر وسوريا والاردن ولبنان ، ومتهما هذه الاقطار بأنها تستغل الفلسطينيين لمآربها الخاصة .

اما اهم جزء في الكتاب ، فهو الذي يخصصه سيغال لتحليل البيئة الاسرائيلية من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية . انه على الصعيد السياسي ينتقد اسرائيل بسبب سيطرة الروح العسكرية عليها ، ويورد المثال التالي على ذلك : في حديث له مع ضابط اسرائيلي كبير ، يقول له الاخير : اني لا اؤيد ابقاء قواتنا على الضفة الشرقية للقناة ، فان اي قصف مدفعي مصري سيكلفنا كثيرا ، كما ان بقاءنا في تلك المواقع سيصورنا امام انظار العالم في هيئة أناس متصلبين للغاية . ولذا أطالب بالانسحاب لقاء شروط معينة. ولما يسأله سيغال ما هي هذه الشروط ، يجيبه القائد : يجب السماح لنا بابقاء قوة في سيناء تتألف في الغالب من الطيران وذلك لمنع المصريين من القيام بأي هجوم في المستقبل . ولما يسأله سيغال : وهل توافق على احتفاظ المصريين بقوة مماثلة داخل اسرائيل لاحباط اي هجوم اسرائيلي محتمل على مصر ؟ يجيبه القائد باستنكار : طبعا لا .

ويأسف سيغال لاقتناء اسرائيل أثر كل من بروسيا واسبارطه وسيرها على تقاليد هاتين الدولتين في بناء مجتمع عسكري . انه يصف الجو العاطفي المشحون بالحماس الامبريالي لجمهور اسرائيلي جلس يسمع الى كلمة يلقيها موشي ديان ويبسط فيها معالم الخريطة الجديدة للفتوحات الاسرائيلية ، كما ينقل سيغال جزءا من مقال نشرته مجلة تصدر عن طلاب الجامعة العبرية ويتضمن التساؤلات حول حكمة السياسة التوسعية التي تتبعها المؤسسة السياسية ــ العسكرية في اسرائيل .

وتنسحب انتقادات سيغال لاسرائيل على الصعيد الاجتماعي ايضا . فالتزمت الديني شهد انبعاثا اثر حرب الايام الستة ، ومؤخرا اصدرت المحكمة الاسرائيلية العليا قرارا بينت فيه ان سلطة المحاكم تتبع من تعاليم الدين وليس من الدولة ، مع انه عندما تأسست الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ أبدلت من بيان الاستقلال عبارة « الثقة بالله » الى الثقة « بصخرة اسرائيل » . ولكن ها ان الدين يعود من جديد ليضيق الخناق على تفكير الاسرائيليين وتصرفاتهم اليومية . وبعد الدين هناك مشكلة